عبد اللّه أحمد اليوسف

ثقافتنا في عصر العولمة والإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

سورة النحل: ١٢٥

جمع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

المحتويات

المحتويات ٥
المقدمة..... ٧
الفصل الأول: ثقافتنا في ظل المتغيرات الجديدة..... ١١
مدخل..... ١٣
الثقافة الإسلامية وعصر المعلوماتية.....١٧
ثقافتنا والعولمة الثقافية.....٢١
من أجل مستقبل ثقافتنا ٢٥
١ـ توظيف التقنيات الجديدة لصالح ثقافتنا:..... ٢٧
٢ـ بلورة مشروع ثقافي إسلامي موحد..... ٣١
٣ـ تحديث الخطاب الثقافي الإسلامي..... ٣٢
الفصل الثاني: الخطاب الإسلامي المعاصر والمسألة الإعلامية..... ٣٥
مدخل..... ٣٧
مراجعات في الخطاب الإعلامي الإسلامي ٤١
١ـ المحتوى والمضمون.....٤١

٢ـ الأسلوب والأداء ٤٦
الموقف من الإعلام ٥١
١ـ موقف الرفض والمقاطعة.....٥١
٢ـ مبدأ التوظيف والاستثمار.....٥٤
الإعلام وصناعة المستقبل ٥٧

المقدمة

تواجه الثقافة الإسلامية مجموعة من التحديات الجديدة والتي من أبرزها تحديات العولمة، وثورة الإعلام والاتصال؛ فدعاة العولمة يسعون جاهدين إلى تعميم الثقافة الغربية ـ وبالخصوص الثقافة الأمريكية ـ على العالم كله، وإلغاء الثقافات الأخرى أو على الأقل تهميشها لصالح الثقافة الغربية. ومن أجل فرض « العولمة الثقافية »، وتعميم القيم والمفاهيم الغربية، وتهميش الثقافات الأخرى تُستَخدم كل الوسائل والأساليب لتكريس « العولمة » كخيار وحيد لا ثاني له.

ولعله من أهم الوسائل لتحقيق ذلك تأتي

وسائل الإعلام الجبارة، ووسائل الاتصال المتقدمة كشبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) وغيرها.. وهذا هو التحدي الثاني الذي يواجه الثقافة الإسلامية.

ولأن الثقافة الإسلامية تحمل في ذاتها مقومات البقاء والديمومة والاستمرار فهي قادرة على مواجهة كل التحديات الحاضرة والمستقبلية. والمطلوب هو أن نقدم الثقافة الإسلامية على أنها ثقافة عالمية؛ فهي ليست لمكان دون مكان، ولا لزمان دون زمان، ومن ثم، يجب أن تصل الثقافة الإسلامية إلى كل الساحات العالمية، وإلى كل المجتمعات الإنسانية؛ وهذا لن يتحقق إلا عندما يوظف المسلمون كل ما لديهم من إمكانيات وقدرات لصالح ثقافتهم وهويتهم الإسلامية، كما يحتاج المسلمون إلى الاستفادة من التقنيات الحديثة في تبليغ الدعوة الإسلامية، ونشر الثقافة الإسلامية. ومن المهم للغاية اقتران كل ذلك بالتخطيط الدقيق، والفكر

الصائب، والمنطق القوي، والفهم العميق للعصر؛ حتى نقدم ثقافتنا إلى العالم بأسلوب مقنع ومؤثر وقوي.

وفي ظل الإنتاج الوافر الذي تقدمه الثقافة الغربية، مستخدمة كل الوسائل والأساليب لإيصال تلك الثقافة إلى كل أصقاع الدنيا؛ علينا إدراك أهمية تجديد الخطاب الإسلامي، وتطوير الوسائل والأساليب، وتقديم الثقافة الإسلامية بما يتناسب مع لغة العصر ولوازمه.

وهذا الكتيب ـ الذي بين يديك ـ يسلط الأضواء على مستقبل الثقافة الإسلامية في ظل تحديات العولمة الثقافية، وثورة الإعلام والاتصال، والدعوة إلى فهم الفرص والتحديات الجديدة، والعمل على صياغة خطاب إسلامي قادر على مخاطبة المجتمعات المختلفة والتأثير فيهم، والاستفادة من التقنيات والوسائل

الحديثة، وتوظيف ذلك بما يخدم مستقبل الثقافة الإسلامية.

وختاماً.. أبتهل إلى المولى عز وجل أن يجعل هذه الأوراق في ميزان أعمالي.. إنه سميع مجيب الدعاء.

واللّه ولي التوفيق

عبداللّه أحمد اليوسف

١٢/ ٧/ ١٤٢٢هـ

٣٠/ ٩/ ٢٠٠١م.

1

الفصل الأول

ثقافتنا في ظل المتغيرات الجديدة

- مـــــدخـــل
- الثقافة الإسلامية وعصر المعلوماتية
- ثقافتنا والعولمة الثقافية
- من أجل مستقبل ثقافتنا

مدخل

تختلف الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات الأخرى من حيث المصادر والمقومات والركائز والأهداف، إذ أن مصادر الثقافة الإسلامية الرئيسة هي: الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، في حين أن مصادر الثقافة الغربية الرئيسة مستمدة من الفكر الفلسفي اليوناني والقانون الروماني، ومن النصرانية المحرفة، أو من الفلسفة الوضعية.

وتتلخص أهداف الثقافة الإسلامية في إقامة العدل والعدالة الاجتماعية، وترسيخ الحرية في شتى أبعادها، وتجذير مفهوم الأخوة الإسلامية، وبناء

الشخصية الإنسانية وفقا للقيم التربوية الصحيحة، وإقامة مجتمع متعاون ومتكامل ومنتج، والسعي نحو تشييد الحضارة الإسلامية.

أما أهداف الثقافة الغربية فتتركز على الجوانب المادية في الحياة وتكاد تغفل تماما الأبعاد الروحية، كما أنها تسعى للهيمنة والسيطرة والاستغلال للشعوب غير الغربية، وهذا واضح تمام الوضوح لكل مراقب للأحداث والتطورات السياسية والاقتصادية والعلمية.

أما شعارات العدل والحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان التي يتشدق بها الغرب فهي شعارات انتقائية ودعائية؛ بل أصبحت تستخدم كأدوات سياسية ضد الدول المخالفة للسياسة الغربية، ولكن مع ذلك ينبغي أن نلاحظ بل ونستفيد من الجوانب الإيجابية في الثقافة الغربية وبالذات في الأبعاد العلمية

والطبية والتكنولوجية.

والثقافة تشمل ـ فيما تشمله ـ الدين، والأخلاق والقوانين، والعلوم الإنسانية، والفنون، والعادات والتقاليد، وكذلك النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية كنظم الحكم والإدارة، ونظم الأسرة، وغيرها.

وتأسيسا على ذلك، فإن الثقافة مرتبطة أشد الارتباط بالحضارة؛ ذلك لأن ثقافة أية أمة من الأمم هي الأساس لحضارتها، إذ لا يمكن أن تكون لأمة حضارة من دون أن تكون لها رسالة ثقافية، ولذلك فإن الثقافة هي المنطلق للبناء الحضاري الشامل، وهذا ما يؤكد دور الثقافة وأهميتها في حياة الأمم والشعوب.

وقد استطاع المسلمون الأوائل أن يوصلوا الرسالة الثقافية الإسلامية إلى أغلب بقاع الدنيا، وأن

يعرفوا العالم بمضمون الثقافة الإسلامية وأهدافها وغاياتها، وبفعل الثقافة الإسلامية وما تحتويه من مضامين ومفاهيم وقيم قامت الحضارة الإسلامية وسادت قرونا عدة كأقوى حضارة في وقتها، وعندما تخلى المسلمون عن ثقافتهم انهارت حضارتهم، وتقهقروا نحو الوراء، وأدى بهم هذا التقهقر الحضاري إلى سيادة الجهل والفقر والتخلف في شتى النواحي الحياتية.

ولا سبيل للنهوض الحضاري إلا بالعودة إلى ثقافتنا الأصيلة والاستفادة من منجزات العصر الحديثة في بعدها الإيجابي، وتفعيل دور الإنسان المسلم ككائن مبدع وخلاق ومنتج.

الثقافة الإسلامية وعصر المعلوماتية

نعيش حاليا ثورة هائلة في طرق نقل المعلومات، وبفضل التقنيات الحديثة فإن نقل المعلومات والحصول عليها يتم بسرعة فائقة، كما أنه لم يعد بالإمكان وضع القيود والحواجز أمام حركة الفكر والثقافة، إذ أصبح انتقال المعلومات من مكان لآخر يتم بلحظة البصر.

لقد أضحى انتقال الثقافة والفكر والمعلومات من مكان لآخر لا يحتاج إلى إجازة من أحد، ولا يتوقف على إذن أحد، كما لا تستطيع الحواجز والقيود أن تقف أمام تدفق المعلومات إلى كل من يريدها ويسعى للحصول عليها.

إن ثورة المعلومات التي نعيشها الآن هي نتيجة لمزج صناعتين سريعتي التطور وهما: الكومبيوتر الشخصي والاتصالات الرقمية، وقد أصبح الكومبيوتر الشخصي يغزو كل بيت في الدول المتقدمة والغنية مما سهل حركة انتقال الأفكار والمعلومات بما لم يسبق له مثيل على الإطلاق.

لقد أصبحت شبكة (الإنترنت) وغيرها من الشبكات الإلكترونية وسيلة سهلة وسريعة ومهمة للحصول على المعلومات، كل المعلومات.

وبفعل هذه التقنية الحديثة يمكن لكل واحد منا أن يستقبل أو يصدر أية أفكار أو معلومات أو مفاهيم من وإلى الآخر، والغرب اليوم بما يملك من إمكانيات مادية كبيرة، وتقنية عالية المستوى والكفاءة، يصدر إلينا فكره وثقافته وفلسفته عن الإنسان والمجتمع والكون.

والثقافة الإسلامية بما تحمله من رسالة عالمية لكل الناس في كل زمان ومكان، وبما تتميز به من خصائص وسمات تجعلها قادرة على التفاعل مع تطورات العصر ومنجزاته، بحاجة للاستفادة من تقنية شبكة الطرق السريعة للمعلومات، وذلك من خلال إقامة مشاريع ثقافية على الشبكات الإلكترونية كي نستطيع التخاطب مع الرأي العالمي، وتصدير ما لدينا من أفكار وثقافات ومعلومات إلى الآخر، وبذلك نستطيع أن نخدم الثقافة الإسلامية ومستقبلها، أما إذا بقينا نستورد المعلومات بدون أن نصدر ما لدينا من معلومات فسوف نعيش على الهامش، وسوف نظل في فناء العالم الخلفي.

إن العالم يتغير بسرعة، وعلينا أن نغير أدواتنا ووسائلنا وطرق تصدير ثقافتنا، إن التبليغ اليوم عبر تقنية الشبكات الإلكترونية والفضائيات يمثل أفضل

وأسرع الطرق للتأثير في عقول أجيالنا، وكذلك في عقول الآخرين، لا أن نكون مجرد مستهلكين لثقافة الآخر ومعلوماته، لأن الاستهلاك الثقافي بدون أن نكون منتجين ثقافيا يجعلنا نذوب في ثقافة الآخر ونفقد بالتالي الثقة في ثقافتنا ومبادئنا وقيمنا، وهذا ما يهدف إليه (الآخر الغربي) بكل تأكيد.

ثقافتنا والعولمة الثقافية

ظهر مصطلح (العولمة) ـ وهو مصطلح جديد ـ في البداية كمفهوم اقتصادي يشير إلى توحيد الأسواق المالية، ورفع كفاءة الحواجز والقيود التجارية أمام تدفق الأموال والسلع والبضائع من مكان لآخر حول العالم.

كما يشير هذا المصطلح إلى التغيرات العميقة في أساليب الإنتاج وسوق العمل وبروز التكتلات الاقتصادية العملاقة، وتعاظم نفوذ الشركات المتعددة الجنسية.

ولكن (العولمة) كمصطلح وكمفهوم وكممارسة

لم يعد يقتصر على الشـــق الاقتصـادي، بـل تعـداه إلى كافة الأبعـــاد كالسياسـة والاجتمـاع والثقافـة والفكـر والتربية.

وما يهمنا هنا هو الحديث عن (العولمة الثقافيـــة) والذي يعني تدفق الثقافات والأفكار مـــن وإلى الآخـر، ورفع كافة القيود والحواجز أمام حركة الثقافـة والعلـم والفكـر والإيديولوجيـا، فلـــم يعـــد اليـــوم في ظـــل الشبكات الإلكترونية المتعددة، وكذلك في ظل انتشـار وتعدد القنوات الفضائية وضع الحواجز والقيـود أمـام الانسـياب الثقـافي، بـل أصبـح نقـل وتدفـق الأفكـار والمعلومـات والرسـائل وحتـى الصـور يتـــم بســـرعة الضوء، وعلى مدار السـاعة، متجـاوزا حـدود الزمـان والمكان.

ولا يمكن التعامل مع هذه التغـيرات الجديـدة إلا

بعقلية جديدة، وتفكير جديد، وممارسة جديدة، بحيث تستجيب لمتطلبات العصر وتطوراته، وفرصه وتحدياته، إذ أننا نعيش حاليا منعطفا جديدا في تاريخ البشرية، بفضل التطور الهائل في عالم المعلومات وتقنيات الاتصال، فبعد انتهاء ما عرف بعصر الحداثة، وما بعد الحداثة، أو مجتمع الصناعة، وما بعد الصناعة، نعيش الآن ما يعرف بمجتمع المعلومات، أو المجتمع العالمي، إنه مجتمع بلا حدود، وهذا سوف يؤدي إلى انحسار الخصوصيات الثقافية والاجتماعية وتقلص الحدود السياسية والثقافية والاقتصادية والمعرفية، وهو ما يشكل تحديا خطيرا لثقافتنا وهويتنا الإسلامية.

وفي ظل هذه التحولات المهمة يجب أن نستفيد من هذه التطورات العلمية بأن نصدر ثقافتنا إلى العالم، لنتخاطب مع الرأي العام العالمي، ونبلغ دعوتنا الإسلامية إلى كل الناس، أما إذا بقينا نستورد

الثقافات والأفكار فقط، فسوف نصبح مجرد مستهلكين سلبيين لثقافات الآخرين بدل أن نتفاعل معها، ونؤثر فيها، بل ينبغي أن نحدد رؤيتنا الثقافية تجاه مختلف القضايا المعاصرة.

إن علينا في ظل (العولمة الثقافية) أن نوصل ثقافتنا عبر تقنيات الاتصال إلى كل العالم، فالشبكات الإلكترونية، والطرق السريعة للمعلومات التي توفرها تلك الشبكات تتيح لنا كما تتيح لغيرنا الاستفادة منها والتفاعل معها، وتوظيفها في صالحنا وصالح أمتنا وحضارتنا.

من أجل مستقبل ثقافتنا

لا شك أن للعولمة مخاطرها، فكما أنها تتيح لنا فرصا كبيرة، كذلك تفرض علينا تحديات خطيرة، ومما يزيد من المخاطر والتحديات هو بعد المسافة بين الغرب المتقدم تكنولوجيا وتقنيا، وبين الشرق المتخلف خصوصا في هذا الميدان، فالأول منتج لها، والثاني مجرد مستهلك، وشتان ما بين الأمرين.

ونتيجة لذلك، فإن الغرب ـ بما يملك من إمكانيات ضخمة في تقنيات الاتصال ـ قد عمل بقوة على تصدير ثقافته إلى كل العالم، وأصبح بإمكان كل واحد منا استقبال تلك الثقافة، وربما التأثر بها، بل لم

يعد بالإمكان منع تلك الثقافة من دخول بيوتنا، فقد تحطمت كل الأسوار، وانهارت كل الحصون، بفعل ثورة المعلومات، وتقنيات الاتصال التي تبشر بعصر جديد، وبثقافة جديدة.

والغرب ليس لديه ثقافة واحدة موحدة، وإن كانت بينه قواسم ثقافية مشتركة وكثيرة، فالأمريكيون يريدون أمركة العالم، والفرنسيون يسعون إلى فرنسته، والبريطانيون كذلك، وإن كانت الثقافة الأمريكية هي الأكثر انتشارا ونفوذا حاليا، وهي تسعى جاهدة إلى هيمنة ثقافتها على العالم، وتهميش الثقافات الأخرى. وبتعبير آخر إنها تعمل من أجل أمركة العالم كله، وربما هذا الشيء هو ما يقلق الكثير من المفكرين الإسلاميين وغيرهم من أصحاب الثقافات الأخرى.

لكن السؤال الاستراتيجي هو: كيف يجب أن

نتعامل مع الواقع الجديد؟ وماذا ينبغي علينا فعله من أجل مستقبل ثقافتنا الإسلامية؟ وكيف نستفيد من هذه التطورات العلمية والتقنية لصالح ثقافتنا؟

للإجابة عن هذه التساؤلات المهمة يمكننا تحرير النقاط التالية:

١- توظيف التقنيات الجديدة لصالح ثقافتنا:

من المتفق عليه أن الثقافة الإسلامية أو لنقل الرسالة الإسلامية لم تأت لزمان دون زمان، ولا لمكان دون مكان، ولا لجنس دون غيره، وإنما جاءت لكل الناس، وفي كل مكان، وفي أي زمان، إلى يوم الدين.

ولذلك نجد القرآن الكريم في غير موضع منه يخاطب الناس، كل الناس، داعيا إياهم إلى عقيدة التوحيد، والتمسك بالقيم والمبادئ، والتحلي

بالأخلاقيات الإنسانية، والسلوكيات السوية ،فنقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور**﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور**﴾[3].

---

(١) سورة البقرة ٢١.

(٢) سورة لقمان ٣٣.

(٣) سورة فاطر ٥.

وقوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**﴾[1].

إلى غيرها من الآيات الشريفة، وعليه، فالثقافة الإسلامية عالمية، فهي تخاطب كل الأجيال، وكل البشر، وكل الناس، في كل مكان، وأي زمان.

وتوظيف التقنيات الجديدة بما يخدم مستقبل ثقافتنا يتطلب منا الاستفادة القصوى من الإمكانيات التي توفرها التقنية الحديثة، واستغلال الفرص الكبيرة التي تتيحها ثورة المعلومات والاتصال بهدف تبليغ الثقافة الإسلامية إلى كل العالم.

وقد بدأت بالفعل بعض المراكز العلمية

---

(١) سورة الحجرات ١٣.

والجامعات في العالم العربي والإسلامي بالاستفادة من الشبكات الإلكترونية بما يخدم العلم والثقافة العربية والإسلامية، وكذلك قامت بعض المراكز الثقافية والدينية بتأسيس مواقع لها على شبكة الإنترنت لبث الثقافة الإسلامية، والإجابة عن كل التساؤلات الفقهية والدينية والثقافية من خلال الشبكة، وهي بدايات تبشر بالخير، ولكن المشوار طويل، وطويل جدا.

ومن المهم تجاوز ردود الأفعال، وحالات القلق السلبي، والخوف من الثقافة الغربية، وهو خوف وقلق مفهوم ومبرر، ولكن الأهم هو صناعة الأفعال، ووضع البدائل، والتفكير الجدي في الاستفادة القصوى من شبكة الطرق السريعة للمعلومات، وهو ما يتطلب مضاعفة الجهود، وتجميع القوى والإمكانيات في سبيل تبليغ ونشر الثقافة الإسلامية عبر الشبكات الإلكترونية.

٢- بلورة مشروع ثقافي إسلامي موحد:

ونقصد بهذا المشروع الثقافي ما يتناول قضايا العصر ،ومستجدات الأحداث، إن علينا أن نواكب التطورات العلمية والفكرية والثقافية، وذلك بتوضيح الرأي الشرعي تجاه مختلف قضايا الفكر والثقافة المعاصرة، وهذا ما يتطلب عقد الندوات العلمية، والمؤتمرات الثقافية، وزيادة مراكز الأبحاث والدراسات، كي نتمكن من توضيح رأي الإسلام حول مختلف القضايا والمستجدات.

وبلورة مشروع ثقافي إسلامي موحد لا يعني إطلاقا إلغاء التنوع والتعدد الثقافي، وإنما السعي نحو تأسيس رؤية ثقافية كونية ناتجة من التفاعل الإيجابي والحر بين مختلف مراكز الفكر والثقافة، فالتوحد ضمن حقيقة التعدد، والاتفاق ضمن حقيقة التنوع.

وثمة مسألة مهمة وهي:أنه لم يعد بالإمكان ـ إن شئنا أن نخدم مستقبل ثقافتنا ـ أن نتجاهل حقيقة العولمة، فقد أصبحت بكل فرصها وتحدياتها إحدى القضايا المعاصرة، ومن ثم، فإنه من الضروري الاستفادة القصوى من الفرص التي تتيحها العولمة والعمل بجد وتخطيط من أجل مواجهة مخاطر العولمة أو التقليل منها على أقل تقدير.

٣- تحديث الخطاب الثقافي الإسلامي:

إن العالم يتغير بسرعة، فكل ما حولنا يتغير ويتبدل، إننا نعيش لحظة تاريخية جديدة، فصل جديد من فصول التاريخ بدأ يطل علينا، هذا الفصل فيه متغيرات كثيرة، وتحولات جوهرية، ومنعطفات مؤثرة في حياة المجتمعات البشرية.

ولكي نكون مؤثرين بثقافتنا وفكرنا وليس مجرد

متأثرين بالثقافات الأخرى، لابد من أن نطور ونحدث خطابنا الثقافي بما يتلاءم وروح العصر، إذ لا يمكن مخاطبة الناس الآن بنفس خطاب القدامى، أو تقديم معالجات قديمة لأعلام قد عالجوا مشاكل عصورهم وتقديمها كحلول لمشاكل عصرنا، كما لا يمكن مخاطبة العالم بنفس الخطابات المحلية، إذ لكل عصر ومكان خصوصياته وسماته وظروفه.

ويجب لكي تكون ثقافتنا عالمية ـ بمعنى وصولها إلى كل الناس والتأثير فيهم ـ أن نقدمها بثوب جديد يتناسب وعصرنا ومستوى الفهم والإدراك عند الأجيال الحاضرة والقادمة، كما يجب أن يتناسب خطابنا مع المستوى العلمي، والرقي المدني الذي حققته البشرية في عالم اليوم، مع الحفاظ طبعا على المحتوى والمضمون للثقافة الإسلامية.

وهذا ما سوف يحقق للأمة الإسلامية مكاسب كبيرة

على المستوى العالمي، أما إذا خاطبنا العالم في القرن الجديد (القرن الواحد والعشرين) بنفس خطاب القرن العشرين، وربما بما قبله بقرون، فسوف نخسر كثيرا، ليس على مستوى العالم فقط، وإنما على مستوى الأجيال المعاصرة من المسلمين أنفسهم، وهنا مكمن الخطر والخطورة.

وهنا يجب التأكيد على نقطة مهمة وهي: أن الإسلام اليوم بحاجة ماسة إلى دعاة يحسنون عرض أفكاره وقيمه ومثله ومبادئه وأخلاقه بأسلوب جذاب وشيق وجميل، كي يقبل الناس، كل الناس، على ثقافة الإسلام وفكره، انطلاقا من قوله تعالى: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾[1].

(١) سورة النحل ١٢٥.

2

الفصل الثاني

الخطاب الإسلامي المعاصر والمسألة الإعلامية

- مـــــــدخـــل
- مراجعات في الخطاب الإعلامي الإسلامي
- الموقف من الإعلام
- الإعلام وصناعة المستقبل

مدخل

يتعاظم دور الإعلام الحديث يوما بعد آخر في حياتنا المعاصرة؛ حيث أصبح يمتلك من التأثير، والقدرة على التغيير في مختلف الأبعاد والحقول أكثر ـ ربما ـ من أي وسيلة حديثة أخرى، فالإعلام المعاصر بمختلف أوعيته ووسائله أصبح قادرا على صناعة الرأي العام وتوجيهه، وتحريك مجريات الأحداث، وتشكيل ثقافة عامة، وخلق سلوكيات جديدة عند الأفراد والمجتمعات، وهذا كله يعطي للإعلام أهمية قصوى وخطيرة في الوقت نفسه، وتنبع الأهمية من القدرة الفائقة على التأثير والتغيير، أما الخطورة فتنشأ

من قدرة الإعلام الحديث على تزييف الحقائق، وتزيين الباطل، وقلب الأمور رأسا على عقب.

ونتيجة لأهمية الإعلام في عالم اليوم، فإن الخطاب الإسلامي المعاصر بحاجة ماسة وضرورية لتوظيف وسائل الإعلام الحديثة في نشر الرسالة والقيم والأخلاق، ومخاطبة الناس، كل الناس، على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم وأفكارهم، ومما يؤسف له أن الخطاب الإسلامي المعاصر لازال قاصرا وفي أحيان أخرى مقصرا في امتلاك أوعية إعلامية مؤثرة في الرأي العام، رغم بعض التطور والتقدم هنا أو هناك، ولكن المسألة تبقى أكبر من ذلك بكثير. والمطلوب هو امتلاك إعلام إسلامي فعال ومؤثر، ويجب الاستفادة من كل التقنيات الإعلامية الحديثة، مع تقديم خطاب إسلامي قادر على التأثير والتغيير في مختلف الأبعاد والجوانب.. وهذه مهمة صعبة ولكنها ليست مستحيلة

إذا ما توافرت الهمة العالية والإرادة القوية والتخطيط الدقيق لتحقيق ذلك.

ومن المهم للغاية أن يرتقي الخطاب الإسلامي المعاصر إلى مستوى التحديات الجديدة التي تواجهها الأمة الإسلامية، وذلك من خلال فهم لغة العصر وثقافته، وتجديد الخطاب الإسلامي بما يتلاءم مع روح العصر ومنجزاته العلمية، وتجاوز الاستغراق في قضايا الماضي وموروثاته، إلى الانفتاح على قضايا الحاضر، واستشراف المستقبل.

وإذا كان لكل إعلام أهداف، وفلسفة، واستراتيجية، فإن الخطاب الإعلامي الإسلامي المعاصر ينبغي أن يبنى على فلسفة واضحة، واستراتيجية محددة المعالم، وأهداف محددة بدقة يسعى من أجل تحقيقها، وعدم الاكتفاء بتقديم خطاب إسلامي بأية لغة كانت.

فنحن في عصر بات العلم سمة من سماته الأساسية، ومن ثم لابد أن يقدم للأمة خطاب مرتكز على العلم والمعرفة، كما كان الخطاب الإسلامي الأول، مع تجديد ما يقبل التجديد في الجانب المتغير من الفكر الإسلامي، والمحافظة على الثوابت التي لا تقبل التغير والتبدل مهما تبدل الزمان وتغير.

مراجعات في الخطاب الإعلامي الإسلامي

لكي نقوم بعملية تقويم ومراجعة دقيقة للخطاب الإعلامي الإسلامي يجب أن نبحث في العنصرين الرئيسين المكونين للخطاب.. وهما:

١- المحتوى والمضمون:

الخطاب الإعلامي المعاصر وليد ثمرة من العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومن ثم لا يمكن أن يكون الخطاب الإعلامي مؤثرا إلا إذا كان ناتجا من عملية إعلامية متكاملة العناصر والأركان.

والمحتوى والمضمون في الخطاب الإعلامي هو جوهر الخطاب، أي خطاب، فما لم يحتو الخطاب على مضمون حقيقي ينبع من تحديد الرؤى، والمنطلقات، والمفاهيم، والفلسفات التي على أساسها يبنى الخطاب، فلن يكون هناك خطاب قوي ومؤثر وفعال.

والخطاب الإعلامي الإسلامي المعاصر غلب عليه في بداياته الشعارات الجميلة، والحماس الجياش.. وغابت الرؤية العلمية، والبصيرة الثاقبة، والمنهجية الصحيحة في محتوى الخطاب، مما جعله يفقد مع مرور الزمن فاعليته المطلوبة، وتأثيره الحقيقي في كل شرائح المجتمع.

وإذا كان الحماس والشعارات شيئا مهما في المنعطفات الحاسمة من حياة الأمة، إلا أنه يجب ألا يكون بديلا عن تقديم رؤية واقعية وفلسفة علمية لمختلف

الأشياء والأمور.

وفي ظل العولمة، وثورة المعلومات، وانتشار القنوات الفضائية.. أصبح الخطاب الإعلامي مطالب بالارتقاء إلى مستوى المنافسة. وتقديم محتوى ومضمون متقدم قادر على الإقناع والتأثير في عقول وقلوب الجيل المعاصر.

ومما لاشك فيه أن بعض الوسائل الإعلامية الإسلامية أخذت تتجه نحو التطور والتقدم والارتقاء بالخطاب الإسلامي، إلا أن الطريق لازال طويلا أمام وصول الخطاب الإسلامي إلى مرحلة التأثير والتغيير والإقناع في كل فئات المجتمع المسلم فضلا عن غيره من المجتمعات غير المسلمة. فالخطاب الإعلامي الإسلامي لازال في معظمه خطابا داخليا، ولم يستطع أن يصل إلى مرحلة الخطاب العام فضلا عن الخطاب العالمي.

فالصحافة الإسلامية ـ وهي أهم وسائل الإعلام الإسلامي ـ أشبه ما تكون بنشرات داخلية تخاطب وتحاور وتناقش نفسها، ولم تستطع أن تتجاوز ذلك لتدرك أن مهمتها الرئيسة هو التأثير في صياغة وصناعة رأي عام مؤثر وفعال، وتوحيد المجتمع نحو أهدافها وقيمها ومنطلقاتها الفكرية والثقافية.

ومن جهة أخرى فقد انشغل الخطاب الإسلامي في جوهره ومضمونه بمشاكل وهموم الماضي، ولم يتجاوز ذلك إلى الحاضر، فضلا عن استشراف المستقبل. كما أن الاستغراق في المهاترات الكلامية، والخلافات الجانبية قد استهلك جزءا مهما من محتوى ومضمون الخطاب الإسلامي.

والسبيل للخروج من تلك الرؤية الضيقة هو الانشغال بقضايا الحاضر مع الاستفادة من دروس

الماضي، واستشراف آفاق المستقبل برؤية معرفية وحضارية. كما يجب أن يتميز الخطاب الإسلامي بالرؤية العلمية والواقعية والموضوعية، والقدرة على التحاور والتناقش والتدارس مع الآخر بدلا من الهجوم والمواجهة والتصادم معه. فليكن خطابنا خطاب حوار ومناقشة، خطاب علم وحكمة، خطاب فكر وثقافة؛ وليس خطاب شعارات وحماس، خطاب حرب ومواجهة.. فالأصل هو الحوار والجدال بالتي هي أحسن وما عداه استثناء.

ومن الضروري للغاية أن يعالج الخطاب الإسلامي القضايا المعاصرة برؤية تأصيلية كقضية الديمقراطية، وحقوق الإنسان، ومسألة التجديد، ومسألة العولمة.. إلى غير ذلك من القضايا المهمة. كما يجب أن يركز الخطاب الإسلامي على قيم الحرية والعدل والمساواة باعتبارها تمثل القيم الرئيسة في بناء المجتمع الأهلي.

٢- الأسلوب والأداء:

إن أميز ما يميز الإعلام المعاصر هو مسألة التخصص الدقيق في كل فرع من فروعه، وهو ما يعطيه القدرة الفائقة على رسم استراتيجية واضحة. والإعلام الناجح إنما يكون نتيجة لتخطيط دقيق، وتفكير صائب، وسياسة مرسومة، إضافة إلى وجود كوادر إعلامية مدربة.

وعندما نستقرئ واقع الخطاب الإعلامي الإسلامي نجد أنه يفتقد -في الأغلب الأعم- هذه العناصر المهمة في تكوين الإعلام الناجح. فنجد من يمارس الإعلام وهو ليس متخصصا فيه، بتوهم أن المسلم المعاصر يمكن أن يكون أديبا ومفكرا ورساما وكاتبا وعالما ومخرجا وصحفيا وواعظا في الوقت نفسه، فهو يدعي العلم في كل شيء.. وهذا ما أدى إلى تخلف

الخطاب الإسلامي لعدم الاهتمام بقضيـة التخصـص، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسـب، بتصـور أن أي رجل يمكن أن يكون في أي مكان!

ومن يراجع الإنتاج الإعلامـي الإسـلامي سـيجد تخلف وتأخر الخطاب الإعلامـي الإسـلامي في وسـائله وأساليبه وأدواته وآلياته إذا ما قورن بالإعلام المعـاصر. وقد أدى هذا إلى التأثـير السـلبي علـى مسـار الدعـوة والصحوة الإسلامية.

ومما ضاعف في حالة ضعـف الخطـاب الإسـلامي المعاصر هو الأسـاليب والوسـائل والأدوات المتبعـة في كيفية عرض الأفكار والأخلاق؛ حيـث تغلـب الرتابـة والروتـين والتكـرار سـواء في الأسـلوب والأداء أو في المحتوى والمضمون. كما أن الأوعية الإعلامية في الخطاب الإسلامي لم تسـتفد مـن التقنيـات الحديثـة في العمـل

الإعلامي. وقد يكون له بعض العـذر في هـذا بسـبب ضعف الإمكانات المادية؛ ولكن يمكن حـل ذلـك مـن خـلال الاسـتثمار المـالي، وإيجـاد أوقـاف للعمـل الإعلامـي،ودمـج الأوعيـة الإعلاميـة في بعضـها كـي تتحول إلى وسائل إعلامية تملك إمكانات قوية.

وثمـة حقيقـة في هـذا الإطـار وهـي أن الخطـاب الإسـلامي المعـاصر لم يخـترق كـل الوسـائل الإعلاميـة المؤثرة؛ فاقتصر ـ تقريبا ـ على الصحافـة المقـروءة، ولم يستطع اقتحام مجالات مهمـة في الإعـلام المعـاصر مـن سـينما ومسـرح وتليفزيـون، ولم تـدرك أهميـة هـذه المجـالات إلا في الآونـة الأخـيرة. وإذا مـا أراد الخطـاب الإسلامي المعاصر أن يستوعب ويؤثـر في النـاس، كـل الناس، فعليه اقتحام كل الوسائل الإعلامية المؤثـرة في عصرنا بدلا من الاقتصار على الصحافة التي لم تعد في المرتبة الأولى من التأثير والفاعلية.

كما أن من الضروري للخطاب الإسلامي أن يتكيف ويتلاءم ويتطور في وسائله وأساليبه وأدواته بما يتناسب مع لغة العصر وثقافته. كما أن من المهم التمييز بين الخطاب الموجه للمسلمين، وبين الخطاب الموجه إلى غيرهم. فلكل مجتمع خصائصه النفسية والعقدية والفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية... ومن ثم ينبغي أن يكون الأسلوب والأداء كما المضمون والمحتوى يتناسب والجهة الموجه إليها الخطاب.

ومما يثير الدهشة والاستغراب هو إننا نرى تغير العالم من حولنا، كما نرى تطور أساليب ووسائل الخطاب المعاصر، في حين أن الخطاب الإسلامي لازال على حاله ـ في كثير من الأحيان ـ سواء في المحتوى والمضمون أو في الوسائل والأساليب؛ وكأن الوسائل والأساليب من الثوابت غير القابلة للتغيير والتطوير.

وبالرغم من هذه الحقيقة المقلقة إلا أنه يوجد تطور وتقدم ملحوظ في بعض وسائل الإعلام الإسلامي. ولكن تبقى المسافة طويلة للتمكن من إيجاد إعلام إسلامي قادر على توجيه المجتمع، وصناعة الرأي العام المحلي والعالمي، واستيعاب مختلف شرائح المجتمع.. فهذا يتطلب المزيد من العمل والإرادة وامتلاك الإمكانات الأولية في العمل الإعلامي. كما أن الإعلام لا يمكن أن يتطور ويكون فاعلا إلا في مناخ الحرية، والديمقراطية، وسيادة القانون، واحترام حقوق الإنسان الأساسية.. فهذه هي مكونات الأرضية الخصبة لنمو شجرة الإعلام الحر.

الموقف من الإعلام

للخطاب الإسلامي موقفان من وسائل الإعلام الحديثة وهما:

١- موقف الرفض والمقاطعة:

اتخذ البعض من منظري الخطاب الإسلامي وبالذات في بداية ظهور وسائل الإعلام الحديثة من تلفاز ومذياع موقف الرفض والتحريم، باعتبار أن هذه الوسائل تمثل وسائل شيطانية نتيجة لما تعرضه وتبثه من برامج منحرفة، تتنافى مع تعاليم الإسلام وأحكامه.

وموقف الرفض والتحريم عند هؤلاء يكاد يكون هو السمة البارزة تجاه كل منجز جديد، فمع بداية تأسيس المدارس لتعليم البنات أفتى البعض من العلماء بحرمة الدراسة فيها مطلقا! انطلاقا من استحباب الأمية للنساء لورود النهي عن تعليمهن القراءة والكتابة!! والأمر كذلك في بداية ظهور المذياع والتلفاز. والأمر ينطبق كذلك مع المنجزات الجديدة كالقنوات الفضائية، وشبكة المعلومات العالمية (الإنترنت). والسبب في الرفض والتحريم ـ عند هؤلاء ـ هو ما تسببه هذه الوسائل من آثار سيئة وسلبية على أخلاقيات الشخصية المسلمة، وعلى قيم المجتمع المسلم. ولكن ما يمكن قوله هنا هو أن هذه الوسائل الحديثة والتقنيات الجديدة يمكن استثمارها وتوظيفها فيما يخدم الثقافة الإسلامية وتوجيه المجتمع نحو الحق والقيم والأخلاق.

وموقف الرفض والتحريم والمقاطعة هو الموقف الأسهل دائما.. ذلك أنه لا يستدعي أي عمل سوى أن تقاطع هذه الوسائل الحديثة. ولكن السؤال الأكثر أهمية: كيف يمكن لنا أن نمنع الناس من التفاعل مع هذه الوسائل؟! وهل بمقدور أحد أن يقوم بذلك؟! ثم أليس من الأفضل أن نستفيد من هذه الوسائل في خدمة ديننا ومبادئنا وقيمنا؟!

وما يمكن تسجيله هنا هو أن الخطاب الإسلامي بعد أن أدرك خطورة هذه الوسائل وقدرتها الفائقة على التأثير في المجتمع قد بدأ خطوات أولية لمحاولة الاستفادة من هذه الوسائل الحديثة في ترويج الدين والقيم والأخلاق.

ومع ذلك، لا يزال البعض ـ وهم قلة قليلة ـ ينظر لمسألة الرفض والمقاطعة والتحريم بالمطلق،

غافلين أن هذه الوسائل من الآلات المشتركة التي يمكن استخدامها في طريق الخير أو الشر، الحق أو الباطل، الفضيلة أو الرذيلة. وأن الأجدى استثمار الوسائل الإعلامية الحديثة في طريق الحق والخير والفضيلة والصلاح بدلا من ترك الساحة الإعلامية للأشرار كي ينشروا الشر والباطل والرذيلة.

٢- مبدأ التوظيف والاستثمار:

يتجه الخطاب الإسلامي المعاصر في الوقت الحالي إلى توظيف واستثمار وسائل الإعلام الحديثة فيما يخدم أهداف ومنطلقات الخطاب الإسلامي، وقد بدأ العاملون في مجال الدعوة والعمل الإسلامي استثمار الفرص المهمة التي أتاحتها شبكة (الإنترنت) للتواصل مع مستخدمي الشبكة أينما كانوا. كما توجد مبادرات لإقامة قنوات فضائية إسلامية.. وهي خطوات

أكثر من مهمة لتوظيف واستثمار الوسائل الحديثة في خدمة الثقافة الدينية، والمنظومة الأخلاقية والقيمية. وهذا الموقف هو الموقف الرائد واللائق بالخطاب الإسلامي؛ ذلك أن مثل هذه الوسائل الحديثة يمكن تسخيرها لخدمة الحق والعدل والحرية، ونشر الفضيلة والقيم والمبادئ والمثل العليا. بيد أن الوسائل الإعلامية الحديثة بالرغم مما تشكله من نقمة وخطورة، إلا أنها في الوقت نفسه تتيح من الفرص والإمكانات ما يمكن توظيفه في الدعوة الإسلامية.

إن الخطاب الإسلامي المعاصر بحاجة مهمة إلى استثمار الوسائل الجديدة في خدمة أهدافه ومنطلقاته وطموحاته؛ أما الركون إلى الانطواء والانزواء، والاكتفاء بالرفض والمقاطعة فلن يحل المشكلة، ولن يقدم شيئا مفيدا، بل سيكون مضرا بمسار الصحوة الإسلامية، وهو أمر أصبح الخطاب الإسلامي المعاصر

ـفي أغلبهـ يـدرك هـذه الحقيقـة الواضحـة. فالأوعيـة الإعلاميـة الجديـدة مـن قنـوات فضائيـــة وإنـــترنت، بالإضافة إلى الوسائل الإعلامية الأخـرى قـد أصبحـت لها من القدرة على التأثير والتغيير ما لا يمكن لأحد أن يتجاهله. والحل يكمن في استثمار مثل هـــذه الوسـائل بما يخدم الخطاب الإسلامي المعاصر.

الإعلام وصناعة المستقبل

يساهم الإعلام بشكل مؤثر في صناعة المستقبل، ونقصد به القدرة على إدارة المجتمع، وصناعة الرأي العام، والتأثير فيه. كما نقصد به القدرة على التعامل مع العصر، وفهم لغته، والاستعداد لمواجهة تحدياته، واستثمار فرصه، واستكشاف آفاقه.

وقد بدأ الإعلام المعاصر يصنع ملامح المستقبل، ويستشرف آفاقه. وإذا ما ركزنا الحديث حول الفضائيات، وشبكة الإنترنت كأحدث وسيلتين مهمتين في عالم صناعة الإعلام والاتصال، فإن العالم من خلالهما أصبح متداخلا بشكل لم تعد الحدود

والسدود قادرة على منع الأفكار والثقافات للأمم المختلفة من الدخول إلى أي مكان من دون إجازة من أحد.

والخطاب الإسلامي المعاصر مطالب بالاستفادة من فرص القنوات التليفزيونية الفضائية، والأمر أسهل بكثير بالنسبة إلى شبكة الإنترنت؛ حيث لا يكلف افتتاح موقع على الشبكة سوى مبلغ ضئيل من المال، كما أنه ليس بحاجة إلى ترخيص من أي جهة، كما أنه لا يوجد أي حظر على أية أفكار أو معلومات ترغب في بثها من خلال الشبكة.. وهذه كلها تعطي للشبكة أهمية بالغة في الاستفادة أيما استفادة من الفرص الذهبية التي تتيحها لكل من يريد استثمارها لصالح أفكاره وأهدافه وخطابه.

والخطاب الإسلامي مدعو إلى بلورة خطاب عالمي

مؤثر، فعالمية الرسالة يتطلب عالمية الخطاب، وهذا يستلزم صياغة خطاب إسلامي يملك من مقومات العالمية ما يجعله قادرا على التأثير والإقناع في الرأي العام العالمي.

والخطاب الإعلامي القادر على التأثير ـ أيا كان توجهه ـ هو الذي يمتلك عناصر العملية الإعلامية المتكاملة من كوادر مؤهلة ومتخصصة، وامتلاك (المعلوماتية) بشكل وافر، وتقديم خطاب علمي ومعرفي. وعندما يمتلك الخطاب الإسلامي مثل هذه المقومات فسيكون قادرا على المنافسة والتأثير حتى في المجتمعات والأمم الأخرى فضلا عن المجتمع المسلم.

وثمة نقطة مهمة وهي: إن الخطاب الإسلامي المعاصر لن يكون قادرا على المنافسة فضلا عن الريادة إلا إذا كان للخطاب الإسلامي استراتيجية واضحة

للعمل الإسلامي وليس مجـرد القيـام بـأداء الواجـب، والخروج من عهدة التكليــف بـأي شكـل كـان؛ إذ أن المطلوب الوصول إلى نتائج على أرض الواقع، وهذا ما يتطلب قراءة الواقع، والعمل على تغييره باتجــاه الحـق والخير والصــلاح، واســتثمار كـل الوســائل والأدوات الإعلاميـة الحديثـة بمـا ينفـع ويخـــدم نجـــاح الخطـــاب الإسلامي المعاصر.

عنوان المؤلف

إلى جميع القراء الأعزاء:

يمكنكم مراسلة المؤلف على العنوان التالي:

المملكة العربية السعودية

المنطقة الشرقية ـ القطيف

الرمز البريدي: ٣١٩١١

ص. ب: ٨٤١

أو على الفاكس رقم: ٨٥١٣٩٤٢ (٠٠٩٦٦٣)

أو الاتصال على الهاتف المحمول: ٠٥٣٨٤٤٩٩١

أو عبر البريد الإلكتروني:

alyousif5000@maktoob.com

صدر للمؤلف

١ـ الإمام الهادي عليه السلام قدوة الثائرين.
٢ـ الشخصية الناجحة.
٣ـ الصعود إلى القمة.
٤ـ شرعية الاختلاف.. دراسة تأصيلية منهجية للرأي الآخر في الفكر الإسلامي.
٥ـ فلسفة الفكر الإسلامي.. قراءة جديدة لأهم الأصول الفكرية في الإسلام.
٦ـ الخمس.. فلسفته وأحكامه.
٧ـ الشباب.. هموم الحاضر وتطلعات المستقبل.
٨ـ الاجتهاد والتجديد.. قراءة لقضايا الاجتهاد والتجديد في فكر الشيخ محمد مهدي شمس الدين.
٩ـ الحوار الإسلامي ـ الإسلامي.. رؤية من أجل إنماء السلم الأهلي.
١٠ـ ثقافتنا في عصر العولمة والإعلام (بين يديك).